اللغةُ مشكاةُ هوية الإنسان وتميزه: منظور علم الاجتماع الثقافي

*محمود الذوادي**

ملخّص

العقل هو الميزة الكبرى للإنسان، ولكن تجادل هذه الدراسة أن ذلك الاعتقاد يمثل ظاهر الأشياء، وأن ما خفي منها أعظم ميزة للإنسان على الإطلاق؛ لأنها هي مصدر وجود العقل البشري نفسه. ويبيّن البحث أن اللغة البشرية هي أولى كبريات ميزات الجنس البشري التي هيأت السبيل لظهور العقل ومنظومة الرموز الثقافية: (الفكر والمعرفة والعلم والدين والقيم والأعراف الثقافية والأساطير والقوانين...) التي يتميز بها الجنس البشري؛ فهوية الإنسان هوية لغوية في الصميم. وبالتعبير الديكارتي يمكن صياغة هذه الهوية في المعادلة شبه الحسابية: أستعمل اللغة البشرية، إذن، فأنا إنسان، وإن ترشح الفكر البشري للبقاء طويلاً أو للخلود، لا يتم إلا في أحضان اللغة خاصة في شكلها المكتوب، فاللغة البشرية هي أساس سيادة الإنسان على الأرض وفي السماء.

الكلمات الدالة: اللغة البشرية، الإنسان، العقل، الرموز الثقافية، سيادة الإنسان.

المقدمة

اللغة والرموز الثقافية وهوية الإنسان

نطرح في هذا البحث ملاحظات وشبكة مفاهيم وتنظير حول **اللغة البشرية** باعتبارها المحدد الأول لهوية الإنسان وتميزه. فهي **بصمة إنسانيته**. وإن جهود بحوثنا في هذا الميدان ساعدت على التعمق في خفايا وأسرار اللغة البشرية الولّادة لمنظومة بشرية ينفرد بها الإنسان، ونسمي هذه المنظومة صحبة اللغة البشرية **منظومة الرموز الثقافية** (اللغة البشرية، والفكر، والمعرفة/العلم والدين، والأساطير والقوانين والقيم والأعراف الثقافية...) وأتاحت لنا تلك الجهودُ اكتشاف معالم جديدة في دنيا اللغة والرموز الثقافية، وفي المقابل، لا تكاد توجد أدبيات حول موضوع هذه الدراسة **(اللغة هي هوية الإنسان).** مثلاً، ففي كتابيْه حول اللغة لا يتطرق عالمُ الاجتماع علي عبد الواحد وافي (وافي 1945و 1951) إلى موضوع دراستنا، ولا يثير مرجع أجنبي كبير بعنوان (فلسفة اللغة) ما يركز عليه بحثنا هنا(Lepore, Smith 2008) . وتقتصر إشارات بعض الأدبيات على ذكر وجود علاقات بين اللغات وهويات الشعوب والمجتمعات (مصطفى، عبد الفتاح، جبريل 2006: 69- 84). وهي بالتالي بعيدة هي الأخرى عن صُلب محور دراستنا.

دور اللغة الحاسم في هوية الإنسان:

عند التساؤل عن أهم عنصر في منظومة الرموز الثقافية يتسبب في ميلادها لدى الجنس البشري، فإن **اللغة البشرية** المكتوبة والمنطوقة تكون هي وحدها المؤهلة لبروز منظومة الرموز الثقافية، إذ يصعب تخيل وجود بقية عناصر الرموز الثقافية كالدين والعلم و الفكر ،مثلا،دون حضور اللغة البشرية في شكلها الشفوي على الأقل.ومن ثم،جاءت مشروعية اعتبارنا **أن اللغة البشرية هي أم الرموز الثقافية جميعاً.** وهكذا، فاللغة البشرية هي رمز الهوية الإنسانية للإنسان. يجوز صياغة هذه الحقيقة في معادلة فكرية ديكارتية تقول:

---

* قسم الاجتماع، جامعة تونس.

تاريخ استلام البحث 2018/5/22 وتاريخ قبوله 2019/9/5.

© 2020 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أستعمل اللغة البشرية، إذن فأنا إنسان.

اللغة غريزة بشرية:

ذهب عالم النفس بنكر Pinker إلى القول إن اللغة البشرية هي غريزة في الإنسان مثلها مثل قدرة الإنسان الغريزية على المشي (Pinker 1995).أي أنها شيء راسخ ومبرمج في الطبيعة البشرية. وهذا ما يفسر نجاح جميع الأطفال بكل سهولة على استعمال وحذق اللغة. فلو لم تكن المقدرة اللغوية أمراً غريزياً مبرمجاً في عمق صميم الطبيعة البشرية لفشل عدد غير قليل من الأطفال في تعلّم اللغة كما يفشلون في تعلم القراءة مثلاً. وبعبارة أخرى، فالقدرة على استعمال اللغة البشرية متاحة لكل الناس في الظروف العادية ولا يحرم منها إلا نزر قليل لأسباب خلقية أو عارضة في حياتهم. وإن حرمان هؤلاء من استعمال اللغة البشرية لا يؤدي بالضرورة إلى عجزهم على امتلاك، بدرجات مختلفة، بقية عناصر المنظومة الثقافية كالتفكير وممارسة العلم والمعرفة والتدين والتأثر بقيم وتقاليد المجتمع، تمثل ملكة اللغة البشرية هذه الغريزة البشرية **مخزوناً مركزياً** وأساسياً في طبيعة الإنسان، ولهذا المخزون **وجهان**: 1. استعمال اللغة المنطوقة والمكتوبة و2الإستعداد والقدرة على استعمال بقية مكونات منظومة الرموز الثقافية، إن حضور الوجهين للملكة اللغوية البشرية هو بالطبع الوضع المثالي لتمكين أفراد الجنس البشري من كامل تمتعهم بما هو موجود على الأرض وفي السماء ومن ثم التأهل الكامل للعب دور السيادة/الخلافة على وجه الأرض.

اللغة مصدر الانفجار الثقافي الكبير:

يرى العالمان نوبل W.Noble وديفدسنI.Davidson أن اللغة هي أداة التفكير الرمزي عند الإنسان، فهي التي تمكنه من صياغة المفاهيم والأفكار ونشرها بين الآخرين ففي نظرهما وقع الانفجار الثقافي الكبير The Big Cultural Bangفي دنيا الإنسان بواسطة **اللغة البشرية** (Davidson, Noble 1989). فبها استطاع بنو البشر أن يبتكروا الفنون والتقنيات الجديدة للتعامل مع محيطهم. وهكذا تتجلى مركزية اللغة البشرية بوجهيها في **تشكيل هوية الإنسان** هذا الكائن الفريد على أديم الأرض. ومن هنا، تأتي مشروعية القول إن اللغة البشرية هي المصدر الذي **لا ينضب** في قدرته على مد الكائن البشري بتاج صفة هويته الإنسانية على مر العصور.

غياب اللغة في أشهر تعريف للثقافة

ونظراً لمركزية ملكة اللغة البشرية في نشأة منظومة الرموز الثقافية، فإن وصف القدماء **للإنسان بأنه حيوان ناطق** وصف مشروع جداً؛ لأن اللغة البشرية المنطوقة هي أكثر ما يميز الجنس البشري عن بقية الأجناس الأخرى ويعطيه السيادة عليها بواسطة منظومة الرموز الثقافية، ورغم مركزية ملكة اللغة البشرية في هوية الإنسان وبالتالي في بروز منظومة الرموز الثقافية في المجموعات والمجتمعات البشرية، فإن أشهر تعريف لمفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية الغربية المعاصرة **لا يذكر اللغة كرمز أول لإنسانية هوية الإنسان** في صلب منظومة الثقافة . فقد عرّف عالم الأ نثروبولوجيا البريطاني إدوارد برنارد تيلور (1871) الثقافة Culture بأنها:" ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيد ة والفن والأخلاق والموروث التقليدي وأي مقدرا ت وعادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع" (Encyclopedia of Sociology 1973 :69). ويتمثل قصور هذا التعريف الكلاسيكي للثقافة في كونه لا يشير إلى اللغة البشرية ولا يعطيها الصدارة في مكونات منظومة الرموز الثقافية و الحال أنها هي **منشئة** ظاهرة الثقافة نفسها كما بيّنا، أي أن هناك علاقة عضوية جداً بين اللغة البشرية و منظومة ثقافتها عند بني البشر وهي قبل ذلك العلامة البارزة **الأولى** لهوية إنسانية الإنسان، وهناك مشروعية للحديث عن قصور تعريف تيلور لمفهوم الثقافة بسبب أنه لا يذكر بكل وضوح صدارة اللغة البشرية – الرمز الأكبر في هوية إنسانية الإنسان– في تعريفه للثقافة البشرية.

الإنسان صاحب هوية ثقافية بالطبع:

يتبين مما سبق أن معلم الرموز الثقافية هو بيت القصيد في هوية الكائن البشري. أي أن هيمنة هذا الأخير على بقية الكائنات الحية الأخرى وسيادته عليها يأتي من **الجانب غير المادي** في هويته المزدوجة (الجسد + الرموز الثقافية) أي من منظومة الرموز الثقافية. و أن ملكة اللغة البشرية هي

مصدر تميز الجنس البشري عن سواه بمنظومة الرموز الثقافية. **فالإنسان**،إذن، ليس حيواناً ناطقاً فحسب، وقال قدماء الفلاسفة بل هو أيضاً كائن **ذو هوية رموزية ثقافية** بالطبع. وبعبارة أخرى ، فتميز الكائن البشري عن سواه من الكائنات الأخرى بالقدرة على ملك ملكة اللغة البشرية واستعمالها في شكليها المنطوق والمكتوب على الخصوص أهله بطريقة مشروعة لكي يكون وحده مخلوقا رموزياً / ثقافياً بالطبع. وبمصطلح العلوم الاجتماعية الحديثة ، يسهل القول إن علاقة الارتباط قوية جدا بين ملكة اللغة البشرية عند بني آدم، من جهة، وحضور ظاهرة منظومة الرموز الثقافية في المجتمعات الإنسانية ، من جهة ثانية.

أستعمل اللغة البشرية إذن فأنا إنسان:

إن التحليل السابق يركد العلاقة الوثيقة بين اللغة البشرية والثقافة حيث تكون اللغة هي السبب الرئيسي لبروز ظاهرة الثقافة الواسعة والمعقدة عند الجنس البشري. فملكة اللغة البشرية والثقافة الناتجة عنها هما، إذن، سمتان مميزتان للإنسان. أي أن هاتين السمتين هما **مصدر هوية إنسانية الإنسان**.إذ بدونهما يفقد الإنسان إنسانيته ومشروعية سيادته/خلافته على الأرض. فاللغة البشرية في شكليها هي المفتاح الأول الذي يمنح الإنسان وحده صفة الإنسانية. فيصح، إذن،القول بهذا الصدد على الطريقة الديكارتية : أستعمل اللغة البشرية،إذن، فأنا إنسان.فلا معنى للحديث عن أسباب تكريم الإنسان على وجه الأرض دون الرجوع في المقام الأول إلى هبة ملكة اللغة البشرية التي يتميز بها الجنس البشري. فاستعمال اللغة البشرية هو **العلامة القمة** على كسب رهان شرف الهوية الإنسانية.

الإعجاز اللغوي البياني المتحدي للعرب

واعتمادا على الملاحظات السابقة حول مركزية اللغة في **أنسنة** جميع أفراد الجنس البشري، يسهل **فهم العبرة** من الإعجاز البياني للقرآن الكريم. يجوز الحديث هنا عن **صنفين من الإعجاز في القرآن** لا صنف واحد كما هو معروف ومتداول.

فمن المسلّم به أن القرآن يمثل **معجزة لغوية بيانية** متحدية للعرب منذ مجيء الإسلام.فالآيات القرآنية تتحدث عن ذلك بكل وضوح:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَه إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} هود13 {وَإنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلىَ عَبْدِنَا فأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ ... } البقرة 23. ثم يشير القرآن إلى صفة الإعجاز العام في القرآن: اللغوي، وغير اللغوي {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} الإسراء 88.

فالإعجاز اللغوي البياني القرآني الذي جاءت به الرسالة المحمدية يختلف، مثلاً،عن الإعجاز الذي تجلى في رسالة السيد المسيح عليه السلام والمتمثل بعضه في ما تذكره هذه الآية القرآنية:{ورَسُولاً إلَى بَنِي إسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيةٍ مِّن رَبِّكُم أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فْيهِ فَيكُونَ طَيْرًا بإذْنِ اللهِ وأُبْرِئُ الْأكْمهَ والْأبْرصَ وأُحيِي الْمَوْتىَ بِإذْنِ اللهِ...} آل عمران 49.

ويتمثل الفرق بين الإعجازين في كون أن الثاني ذ و طبيعة **مادية** بينما الأول ذو طبيعة **رمزية/لغوية بيانية.** فالإعجاز اللغوي البياني القرآني هو من نوع الإعجاز الخاص الموجه إلى العرب في كل من مكة ويثرب/المدينة، ففي الإعجاز البياني القرآني يلتقي **أمران:** أهمية البيان اللغوي في ثقافة العرب ومركزية اللغة كرمز لإنسانية الإنسان.أي أن اختيار القرآن للإعجاز البياني ليس صدفة وإنما هو أمر **مقصود** بالكامل. إذ هو يمس **الخاص** بما للبيان اللغوي من بالغ الشأن عند العرب ويمس الجانب **العام** والمتمثل في مدى مركزية اللغة في هوية الجنس البشري باعتبارها عنوان ورمز إنسانيته كما شرحنا ذلك.

الإعجاز القرآني الرمزي الكوني العام:

فاللغة **تأشيرة** الجنس البشري لكسبه وحده صفة الإنسانية ومن ثم السيادة/الخلافة على الأرض، فالدلالة الرمزية لاختيار اللغة كمعجزة القرآن الأولى أمر واضح المعالم على **مستويين،** كما رأينا. ويتصف بحكمة تدعو إلى كشف الحجاب أكثر عن عبرها فالإعجاز اللغوي البياني القرآني يمس **أهم عنصر** تتلخص فيه معالم تجليات إنسانية الإنسان،ألا وهي ملكة اللغة البشرية، و لا يأتي الإعجاز هنا من مسألة جانبية أو هامشية في حياة ومصير بني البشر بل

يتجسد الإعجاز في **قمة هرم ميزات الإنسان** وعنوان إنسانيته الكبير، ألا وهي **اللغة البشرية**، ولهذا الإعجاز اللغوي البياني ثلاث دلالات رمزية إنسانية عامة موجهة لكل الناس وليست خاصة بالعرب:

1. إعجاز دائم مدى الدهر وليس بالمؤقت كإعجاز عيسى وموسى.تمثل القامة العالية للنص القرآني **تحدياً** للآخرين **على مرّ العصور** في جمال بلاغة تعبيره بأسلوبه الخاص الذي ليس هو شعراً أو نثراً وإنما هو قرآن، وأكد ذلك عميد الأدب العربي الأستاذ طه حسين، فإعجاز النص القرآني إعجاز يتصف بالاستمرارية وحتى الخلود؛ لأنه ضرب من الإعجاز الرمزي الذي تتجاوز قوة حضوره وتحديه لغير العوامل الظرفية للتاريخ و الزمان والمكان.

2. يجوز القول إن **الإنسان هو الكائن المعجزة واللغز الكبير** على هذه الأرض بسبب انفراده بالسيادة في إدارة ما يجري في هذا العالم، أي أنه لا توجد منافسة حقيقية له من طرف أي من الكائنات والأجناس الحية الأخرى في مسألة إدارة شؤون ما يجري على الأرض وفي الآفاق. ويمثل انفراد الإنسان في استعمال ملكة اللغة البشرية **المصدر الأول** في خلق الإنسان الكائن اللغز والمعجزة، كما بينا، **فاللغة البشرية** هي بهذا الاعتبار **أم المعجزات** في دنيا الإنسان، وهي بالتالي أسمى علامة على إنسانيته.

3. ومن خلال ما ورد في 2 فإنه يصبح مفهوماً ومشروعاً أن يتخذ القرآن الكريم من الإعجاز اللغوي البياني أداة التحدي الأولى **للعرب وللناس أجمعين** على مر العصور، ففي تبني الإعجاز اللغوي البياني بوصفه وسيلة لتحدي العرب والآخرين **تذكرة قرآنية** أن مشهد هذا النوع من الإعجاز تمثله اللغة البشرية أرقى ما يتميز به الإنسان وأعز ما أهله بحق لأخذ مسؤولية تسيير شؤون ما على الأرض وفي السماء ورفض بقية المخلوقات بما فيها معالم الطبيعة العظمى على تبني هذه المسؤولية كما يعبر القرآن على ذلك {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}. الأحزاب72.

وهكذا، يمكن القول إن الإعجاز اللغوي البياني القرآني لا يقتصر على مجرد التحدي الخاص للعرب في الفصاحة والبلاغة، وإنما هو يتجاوز ذلك إلى التأكيد على **الجوانب الرمزية** في المجابهة مع العرب على مستوى اللغة والفصاحة والبيان. وهي جوانب لا يُشَار إليها لا من قريب ولا من بعيد لدى من كتبوا المؤلفات المرجعية حول الإعجاز اللغوي البياني في القرآن الكريم، فلا ذكر عندهم لما نسميه هنا **بالإعجاز اللغوي الرمزي إذْ** يتمثل هذا الأخير في جعل **اللغة** البشرية **رمز إنسانية الإنسان** وأرقى مهارته.إنها الميدان الذي تحدت فيه آيات القرآن كلام العرب من شعر ونثر.وبعبارة أخرى، فالإعجاز اللغوي البياني القرآني يقع، من جهة، على مستوى بلاغة وفصاحة صياغة الكلام العربي في النص القرآني. وهذا **إعجاز خاص** موجه للعرب،ومن جهة ثانية، يتضمن الإعجاز اللغوي البياني القرآني إعجازا رمزيا كونيا عاما أكثر أهمية من الإعجاز الخاص. ويتمثل هذا النوع من الإعجاز في **اختيار اللغة البشرية وحدها** دون غيرها من الوسائل في تجسيد حدث الإعجاز في المحيط المكي والمديني، وهو اختيار يشير بكل وضوح إلى أن الإعجاز البياني القرآني يتخذ من اللغة البشرية أعز ميزة رمزية كرم بها الإنسان فأعطيت له وحده وبكل مشروعية **الخلافة**/السيادة على وجه الأرض. فالنص اللغوي البياني القرآني المعجز يمثل في نفس الوقت إشادة بيّنة وعالية بمدى الأهمية القمة لرمزية اللغة البشرية في تشريف الإنسان على هذه الأرض. ومن المؤكد أن التلويح إلى الدور الرمزي للغة البشرية كعلامة على إنسانية الإنسان وعلو مكانته على وجه الأرض هما **أبلغ** من مجرد الإعجاز اللغوي البياني الخاص في النص القرآني والموجه إلى العرب. فتميز الجنس البشري باللغة البشرية جعله مختلفاً عن بقية الأجناس على الكوكب الأرضي كما جاء أخيرا في غلاف ومحتوى العدد الخاص للمجلة العلمية الشهيرة:

Scientific American, September 2018, Vol.319, No 3.

ميلاد العقل في حُضن الرموز الثقافية:

ذكرنا من قبل أن اللغة البشرية هي أم الرموز الثقافية جميعاً:"اللغة المكتوبة والمنطوقة والفكر والدين والمعرفة/العلم والقيم والأعراف الثقافية والأساطير...) ونحاول هنا كشفَ الحجاب عن العلاقة الوثيقة التي تربط بين الرموز الثقافية وبين أعزما يميز الإنسان عن سواه من الكائنات الأخرى ألا

وهو **العقل**، ونود إثبات الرباط القوي بين **اللغة البشرية وميلاد العقل البشري** بطريقة غير مباشرة. إذ إن اللغة البشرية هي أم الرموز الثقافية جميعا. وبالنجاح في هذا المسعى تتحسّن القدرة على فهم وتفسير أفضل لمركزية منظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان ومن ثمّ كسب رهان التقدم والنضج في التنظير حول الظواهر الإنسانية الفردية والجماعية انطلاقاً من منظومة الرموز الثقافية بوصفها ميزة من **الدرجة الأولى** ينفرد بها الجنس البشري.

العقل والرموز الثقافية:

عندما يسأل المرءُ عامةَ الناس:ما الذي يميّز الإنسان عن بقية الكائنات الحية الأخرى؟ طالما تكون إجابة الأغلبية أن **العقل** هو أكثر الأشياء التي ينفرد بها الجنس البشري عن غيره من الأجناس على وجه الأرض، وهي إجابة ذات مصداقية عالية. ومع ذلك، فإن الفضول العلمي لا يكتفِ بتلك الإجابة البسيطة ويريد **معرفة العوامل** التي تؤدي إلى وجود ظاهرة العقل أصلاً لدى الإنسان دون سواه من الكائنات. ولكسب رهان رصيد المعرفة اللازم لتفسير ظاهرة العقل يمكن للباحث أن يتبنى منهجية شفافة الطرح للموضوع في ثلاثة معالم: 1. التعرف على إمكانية **وجود سمات أخرى** يتميز بها أيضاً الإنسان بطريقة قاطعة كما هو الحال في انفراده بالعقل، و2 . وفي حال وجود تلك السمات تُطرَح **فرضية وجود علاقة** بينها وبين ظاهرة العقل البشري. 3. إن التأكد من وجود علاقة بين السمات الواردة في 1 وظاهرة العقل لدى الإنسان يساعد على **فهم وتفسير أصل جذور منبت العقل** بوصفها خاصية يتميز بها الإنسان وحده.

فبحوثنا المتواصلة منذ 1990 قادتنا إلى التأكد من أن الإنسان يتميز عن غيره من الدواب بمنظومة **الرموز الثقافية.** فهذه الأخيرة هي، إذن، ميزة بشرية بكل وضوح تُلبي ما يتطلبه ما جاء في رقم 1 أعلاه. وأما احتمال وجود علاقة بين الرموز الثقافية وظاهرة العقل البشري فهذه فرضية جائزة بسبب أن كلا منهما هو ميزة كاملة للإنسان مما يسمح بالقول إن هناك في الأقل علاقة ارتباط correlation بين الاثنين وربما تكون هذه العلاقة أكثر من ذلك: علاقة سبب بمسبَّب. أي أن العقل هو سبب وجود الرموز الثقافية لدى الإنسان أو العكس، وهذا يحتاج إلى **رفع للالتباس** في مسألة متشابكة جدا تشبه قضية هل الدجاجة نتيجة للبيضة أم البيضة نتيجة للدجاجة؟

وهكذا يمكن القول: إن **العقل والرموز الثقافية** هما **ميزتان بارزتان في الإنسان**، وعلى مستوى ثان فإن ظاهرة **سيادة الإنسان** في الأرض وفي السماء يُرجعها عامة الناس إلى مواهب العقل البشري الممتازة. بينما تفسرها بحوثنا **بمركزية اللغة والرموز الثقافية** في **هُوية الإنسان** كما يُبيّن الرسمُ الآتي:

مركزية اللغة البشرية في هوية الإنسان

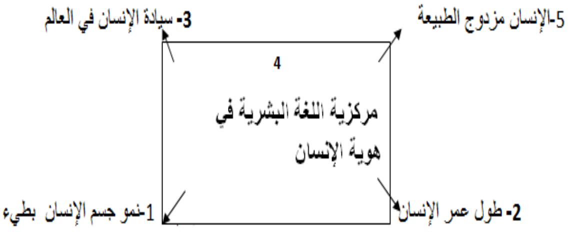

فخلاصة القول استناداً على ما سبق إيضاحه أن الكائن البشري هو كائن ثقافي بالطبع. أي أن الرموز الثقافية تحتل صُلبَ الموقع المركزي في هويته. ونظرا لعلاقة الترابط القوية بين الرموز الثقافية والعقل لدى الإنسان، فإنه يجوز تحديد طبيعة هذه العلاقة بين الاثنين بإضفاء صفة السببية عليها، فمنطق المعطيات والتحليل لهذه العلاقة المتشابكة بين الرموز لثقافية والعقل يسمحان بالقول إن تملك الإنسان لمنظومة الرموز الثقافية هي **السبب الرئيسي الأول** لتأهله لامتلاك مواهب العقل التي هي الأصل وليدة **لموهبة اللغة البشرية** لدى الإنسان، ويمكن تقديم حُجتين لصالح هذه الرؤية، **أولاً:** لا تملك الكائنات الأخرى اللغة البشرية وبالتالي فهي فاقدة لمنظومة الرموز الثقافية التي يتمتع بها الجنس البشري، ومن ثمّ، فهي فاقدة لنوعية العقل البشري، ثانياً: يتجلى تأثير الرموز الثقافية على طبيعة العقول لدى الناس في ثلاثة أصناف لتلك العقول: العقول الأمية والعقول المتعلمة والعقول المفكرة العظيمة كما سنرى لاحقاً.

أطلس المخ

إنَّ محاولة رفع الالتباس أكثر، نحتاج أولاً إلى التعرف

على بعض المعطيات العضوية التشريحية حول مخ الإنسان. **فأطلس المخ** يمدنا بالمعلومات الأساسية الآتية: يوجد في المخ بين 100 و1000 مليارعصبونا/ neurons. ويزن المخ حوالي 1.5 كلغ، أي 2 في المائة من الوزن الكامل للإنسان. ينقسم العدد الهائل من تلك العصبونات إلى عصبونات مركزية ذات لون رمادي وعصبونات هامشية ذات لون أبيض. فعصبونات المخ صاحبة المادة الرمادية تكوّن ما يُسمى بقشرة الدماغ cortex، وهي مساحة كثيفة جدا وذات تكوين مُركّب معقد فريد من نوعه لدى الإنسان يسمح له بالقدرة على تحاشي الانصياع إلى الأعمال اللاإرادية وتنويع ردود أفعاله نحو محيطه بحيث يكون قادرا على التفكير والتخيل واستباق الأحداث بطرق مختلفة عما يمليه المحيط. وبناء على ما ذُكر فالقسم الأمامي لقشرة الدماغ على الخصوص يمثل الموقع المميّز الذي **يحتضن** منظومة الرموز الثقافية التي يرتبط بوجودها حضور العقل لدى الإنسان.

مؤشراتُ علاقة العقل بالرموز الثقافية:

إنَّ تقدم في مسيرة كشف الحجاب عن طبيعة العلاقة بين العقل والرموز الثقافية، فمن المناسب في المقام الأول طرحُ بعض الملاحظات التي قد تساعد على القرب من الوضوح من المسألة الغامضة قيد التحليل، وذلك بذكر بعض مؤشرات الارتباط بين الرموز الثقافية والعقل:

1. إن **القراءة والتعلم باستعمال اللغة البشرية** بواسطة الذهاب إلى المدارس أو بطريقة مستقلة يعطي عقل الإنسان معرفة وعلما يمكنّانه من فهم أفضل لكثير من الأشياء والأمور في الحياة، وهذا يعني أن عقل الإنسان المتعلم بفضل اللغة البشرية يملك قدرة **أكبر** من عقل الإنسان الأمي على الفهم والتفسير لعديد الظواهر ومجريات الحياة، ويتضح من هذا المثال أن الاستعمال لبعض عناصر منظومة الرموز الثقافية كقراءة اللغة وكتابتها وتعلم بعض المعلومات العلمية والأفكار والقيم الدينية والثقافية تُحسّن من مستوى قدرة العقل بصفة عامة على الإدراك والفهم والتفسير لكثير من الظواهر والأشياء في محيطه المباشر القريب في الأقل.

2 . إن الاعتماد على العقل بوصفه وسيلة وأداة لإنشاء المعرفة لدى بني البشر يتطلب **فهم مكوّنات العقل** التي تمنحه القدرة على تكوين المعرفة والعلم، ويمكن القول إن العقل الإنساني هو نتيجة لعنصرين رئيسيين: فالمخ يتكون من عناصر بيولوجية فيزيولوجية ونرولوجية، من جهة، ومنظومة الرموز الثقافية، من جهة ثانية. تمثل قشرة الدماغ الأمامي تلك المنطقة الخاصة الخصبة لنشأة الرموز الثقافية وفي طليعتها اللغة البشرية والفكر وتطورهما ونضجهما عند الإنسان. فالعقل والرموز الثقافية هما، إذن، صفتان يختص بهما الإنسان مما يطرح فرضية وجود علاقة ترابط قوية بين الاثنين.وتصلح هذه العلاقة الفرضية لكي يُقال معرفيا/ابستيمولوجيا إن منظومة الرموز الثقافية هي **المصدر الأول** لتجسيم ظاهرة العقل لدى أفراد الجنس البشري. إذ إن غياب الرموز الثقافية لدى الأجناس الأخرى، كما وقعت الإشارة، حرمها من تمتعها بمواصفات العقل البشري. وهكذا، يصعب الحديث عن العقل الإنساني دون وجود منظومة الرموز الثقافية. أي أن المخ البشري لا يتأهل لكسب رهان مواصفات عقل الإنسان دون حضور منظومة الرموز الثقافية فيه التي هي **وليدة اللغة البشرية لدى الإنسان**، وبعبارة أخرى، فالإنسان ككائن عاقل هو كائن واسع الاستعمال لعناصر منظومة الرموز الثقافية الأمر الذي يساعد على تفسير ظاهرة ثلاثة أنواع من العقول وهي العقول الأمية والعقول المتعلمة و**العقول المفكرة العظيمة**. ونركز هنا على النوع الأخير من هذا التصنيف.

العقول العظيمة الريادية والرموز الثقافية:

يشهد التاريخ البشري الطويل عبر ثقافاته وحضاراته المختلفة أن ظهور العقول العظيمة الرّائدة في الميادين المعرفية والعلمية المتنوعة ارتبط في غالب الأحيان بحصول تلك العقول على **مستوى علمي/معرفي عال** يتمثل في المعرفة العالمة المتقدمة. ويتطلب كسبَ رهان ذلك **أمرين رئيسيين:** معرفة القراءة والكتابة بواسطة اللغة البشرية، من ناحية، والتمتع بمستوى متميّز في ميدان التخصص العلمي ورحاب المعرفة الواسعة العامة، من ناحية أخرى. فعامل معرفة القراءة والكتابة قد لا يكون ضروريا في عمليات الإبداع والابتكار في بعض ميادين الأنشطة الإنسانية، ولكن معرفة القراءة والكتابة (غياب الأمية اللغوية) تُعدّ **ركيزة أساسية** بالنسبة للعقول العظيمة المبتكرة في معظم فروع المعرفة البشرية والثقافية.

تبرز النظريات المعاصرة بقوة العلاقة بين الإبداع/الابتكار، من جهة، والمعرفة البشرية الرحبة، من جهة ثانية، وفي الواقع تؤكد تلك النظريات على وجود **علاقة مباشرة** بين الاثنين (المعرفة الواسعة والإبداع/الابتكار) (Sternberg 1999 :75). إذ يرى المنظرون حول ظاهرة الإبداع/الابتكار "بأنه كلما كان المرء أكثر معرفة بالأشياء، كان أسهل عليه العثور على حلول مبتكرة لما يواجهه" . وإن المعرفة الواسعة تعطي الإنسان القدرة على المبادرة المكثفة في القيام بسيرورات ذهنية/فكرية *cognitive processes* معقدة قد تقود إلى **حالات التألق والعبقرية** لدى بعض الأفراد، وهكذا يجوز القول إن رصيد منظومة الرموز الثقافية التي يملكها العقل البشري هي التي تمكّن بعض العقول البشرية من النضج الفكري والمعرفي الرائد في فهم وتفسير الظواهر المتعددة والمختلفة. ومن معالم تلك العقول البشرية العظيمة الابتكار المتمثل في:" قدرتها على تجاوز المعلومات المعروفة وتخيّل طرق جديدة ومثيرة للوصول إلى صياغة جديدة لمشاكل قديمة" (Sternberg 2003 : 105). وخلاصة القول بهذا الصدد تظاهرة العقل البشري مرتبطة شديد الارتباط بوجود منظومة الرموز الثقافية في مخ الإنسان وأن مدى استعمال العقل للرموز الثقافية هو الذي يحدد مدى مستوى النضج الذي يمكن أن يبلغه العقل الإنساني بما فيه ظاهرة العقول العظيمة والريادية في دنيا المعرفة والعلم.

العقل الخلدوني ولباس الرموز الثقافية العربية الإسلامية

بكل المقاييس يمثل العقل العمراني الخلدوني الذي ألف **المقدمة** في القرن الرابع عشر **عقلاً رائداً وعملاقاً** في دنيا الفكر البشري قاطبة، ونظراً لمناداة أطروحتنا بالدور الرائد الذي تلعبه الرموز الثقافية في تكوين مستوى العقل الإنساني، فإن التعرف على منظومة الرموز الثقافية التي نهل منها عقل ابن خلدون يصبح أمراً ضرورياً لفهم وتفسير ظاهرة العقل الخلدوني الفريد.

ففي صباه درس ابن خلدون في تونس التي كانت يومئذ مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب، ركز ابن خلدون دراسته في ثلاثة مجالات وهي (1)العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي وأصول وتوحيد و (2)العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب و (3)المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية، قد أعطت تلك الدراسات ابن خلدون تكويناً تعليمياً في ثقافتي عصره بالمعنى الحديث لمصطلح الثقافتين (Snow 1963) *The Two Cultures*. ففي كتابه:(**التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**) يصف بكثير من التفصيل أهم شيخين تلقى تعليمه على يديْهما وهما أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن **الحضرمي** وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم **الآبلي**. يذكر ابن خلدون ما تعلمه عن الأول فيقول:" لازمته، وأخذت عنه، سماعا، وإجازة، **الأمهات الست**، وكتاب الموطأ، والسير لابن إسحاق، وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وكتبا كثيرة شذت عن حفظي، وكانت بضاعته في الحديث وافرة ونحلته في التقييد والحفظ كاملة، كانت له خزانه من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر، في الحديث والفقه والعربية ، والأدب والمعقول وسائر الفنون..." (التعريف: 21). أما عن معلّمه الثاني الآبلي، شيخ العلوم العقلية فيقول عنه ابن خلدون: " أصله من تلمسان، وبها نشأ، وقرأ كتب التعاليم، وحذق فيها، وأظله الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة، فخرج منها وحج. ولقي أعلام المشرق يومئذ... وقرأ المنطق والأصلين، على الشيخ أبي موسى عيسى بن الإمام. وكان قرأ بتونس، مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن، على تلاميذ ابن زيتون الشهير الذكر، وجاء إلى تلمسان بعلم كثير من المعقول والمنقول... ولما قدم على تونس في حملة السلطان أبي الحسن، لزمتُه وأخذتُ عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية والتعليمية، وكان رحمه الله، يشهد لي **بالتبريز** في ذلك" (التعريف: 21–23).

يُقر ابن خلدون بأنه كان له **رغبة قوية في التعلّم** وكسب رهان المعرفة منذ طفولته الأولى " لم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دور العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان ، والصدور وجميع المشيخة" (التعريف : 57). ونتيجة لذلك هاجر من تونس إلى المغرب العلماء والمثقفون الذين لم يصابوا بالطاعون. وفي زمن لاحق كان لابن خلدون فرصة العودة للدراسة في مدينة فاس التي أصبحت مركزا للعلماء والمثقفين الذين غادروا الأندلس وتونس، فمكتبات هذه المدينة كانت أغنى المكتبات الإسلامية في ذلك العهد. ومن

ثم فإن وجود ابن خلدون في هذا **المحيط الفكري الثقافي اللامع قد وسّع وعزز آفاق معارفه وأرضى رغبته الحقيقية في المعرفة...**" وعكفت على النظر والقراءة، ولقاء المشيخة، من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس، والوافدين في غرض السفارة، وحصلت من الإفادة منهم على البغية" (التعريف: 61).

وهكذا يتجلى أن العقل الخلدوني صاحب الفكر الجديد والمبتكر هو وليد لعاملين رئيسيين: الموهبة الشخصية، من جهة، **وتشبعه بالمعرفة والعلم/الرموز الثقافية** في محيطه الثقافي ومن كبار علماء عصره، من جهة أخرى، وهذا يعني أن العقل العملاق لابن خلدون ما كان لينضج ويكتب المقدمة دون منظومة الرموز الثقافية التي اكتسبها وعايشها في المغرب والمشرق، ويبرز هذا مقولة أفكار هذه الدراسة التي تؤكد أن **ظاهرة العقل البشري** مرتبطة شديد الارتباط في ميلادها وفي نضجها وحصافتها المعرفية والفكرية بحضور الرموز الثقافية في صلب عقول المفكرين والعلماء البارزين المشار إليهم بالبنان داخل حدود بلدانهم وخارجها القريبة والبعيدة. وهكذا يتجلى أن حتمية ميلاد العقل البشري ونضج فتوته واكتمال حكمته في المعرفة والعلم لا يمكن أن يتمّ بدون حضانة منظومة الرموز الثقافية له في مسيرته الطويلة.

نظرية في العقل البشري:

نختم هذه الملاحظات والتأملات حول العقل الإنساني بمحاولة للتنظير حوله، ويمثل النجاح في كسب رهان تحقيق إطار نظري هدف وخلاصة ما يطمح إليه البحث العلمي في نهاية المطاف. تُعرَّفُ النظرية على أنها إطار فكري يساعد على الفهم والتفسير للعديد من الظواهر المختلفة التي يهتم بدراستها صاحبُ تلك النظرية. فنظريتنا للرموز الثقافية ساعدت فعلاً على تفسير ظواهر متعددة لدى **الإنسان هذا الكائن الرموزي الثقافي بالطبع** (الذوادي 2011). وتتمثل بعض تلك الظواهر الخاصة والمميزة للإنسان عن غيره من الكائنات في الأمثلة الآتية : انفراد الإنسان بالسيادة الكاملة على وجه الأرض وانفراد أطفال بني البشر بالعجز عن المشي المُبكر مثل صغار الحيوانات وانفراد الإنسان بالعقل ومواهبه الجبارة، بيّنتْ الأفكار والتحاليل الواردة في هذا البحث أنه لا يمكن الحديث عن **ظاهرة العقل البشري** في غياب منظومة الرموز الثقافية التي يملكها ويستعملها قليلاً أو كثيرا أفراد الجنس البشري. وهذا ما يفسر حرمانَ بقية كائنات الأجناس الحية الأخرى من عقول لها نفس المواصفات التي يتمتع بها العقل الإنساني. فالعلاقة بين ظاهرة العقل البشري ومنظومة الرموز الثقافية هي **علاقة مباشرة وقوية** ومما يزيد في مشروعية ومصداقية هذا الطرح الفكري وهذا التصور هي الملاحظات الميدانية التي تؤكد وجود أنماط العقول المختلفة لدى الناس. ولقد وقعتْ الإشارةُ أعلاه إلى ثلاثة أصناف من العقول يمكن ملاحظتها في الكثير من المجتمعات في عصر العولمة وهي: العقول الأمية، والعقول المتعلمة، والعقول المفكرة العالمة والعظيمة. وإن ما يفصل بينها هو درجة فقرها في أو امتلاكها لعناصر **منظومة الرموز الثقافية**. فالإنسان الأمي فقير في نصيبه من رصيد الرموز الثقافية. فحسب التعريف المتداول لمفهوم الأمي، هو شخص لا يعرف القراءة والكتابة ومن ثم، فهو محروم من المعرفة والعلم في أوسع وأعمق معنييْهما (بسبب غياب **ملكة اللغة البشرية** التي هي مصدر منظومة الرموز الثقافية في أرحب آفاقها) الأمر الذي يعطل قدرته على التفكير الواسع والعميق. وفي المقابل، فالإنسان ذو العقل المفكر والعالم يتمتع بنصيب عظيم من منظومة الرموز الثقافية يأتي في طليعتها مهارتا القراءة والكتابة وامتلاك المعرفة والعلم الواسعين والعميقين والقدرة على الفهم والتفكير، وبالتالي كسب رهان المساهمة في الإنتاج والتجديد والابتكار في رحاب الميادين المعرفية والعلمية. فالتنظير حول ميلاد العقل وتطوره **وبلوغه القمة** يجد سنداً كبيراً في منظومة الرموز الثقافية.

العقل في أعلى الجسم كرمز على مقامه السامي.

إن مكان العقل هو في أعلى جسم الإنسان، أي داخل جمجمته إذْ يوجد المخ ذات دلالة رمزية كبيرة، فمن الناحية التشريحية الفيزيولوجية يمكن للمرء أن يتساءل هل يمكن هندسة جسم الإنسان بحيث لا يكون مخه ومن ثم عقله متواجدين في قمة هذا الجسم؟ قد يكون هذا السؤال **غريباً** لكل من الفرد العادي والعالم على حد سواء؛ لأنه فعلاً تساؤل خيالي وفلسفي. ولكن هذا الطرح يبقى مشروعاً عند هذا الكائن الرموزي الثقافي بالطبع وغير وارد عند كل من الحاسوب والرابوط وبقية الكائنات الحية الأخرى. قد يجيب الطبيب وعالما الفيزيولوجيا والبيولوجيا على تساؤلنا بـ "نعم".

عند ذلك تنتفي الدلالة الرمزية لوجود العقل في أعلى عضو (الجمجمة/المخ) من جسم الإنسان. لكن الغالب أن تكون الإجابة بـ "**لا**" على تساؤلنا أعلاه، أي أنه سيكون هناك إجماع بين المختصين برفض هندسة جسم الإنسان هندسة جديدة لا يكون فيها المخ البشري/العقل في أعلى جسم الإنسان، ويذكرنا مثل ذلك الرفض برد عالم البيولوجيا الشهير جان روستان Jean Rostandعندما سُئل- كما ورد في برنامج تبسيط العلوم في التلفزيون الكندي الفرنسي Radio-Canada الذي أشرف عليه Fernand Séguin في مطلع السبعينات من القرن العشرين -: هل يمكن تحسين خلقة الجسم الإنساني باستعمال اختراعات التكنولوجيا الطبية الحديثة؟ فأجاب روستان يومئذ بأن جسم الإنسان شديد الحكمة في تركيبته، فلا يحتاج إلى تحسين، وبالتعبير القرآني: **{ إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم }** التين 4. فالجسم الإنساني، إذن، ذو تركيبة مثالية يبقى فيها المخ والجمجمة ومن ثم **العقل في أعلى موقع** من جسم الكائن البشري، وبذلك يتحقق المعنى الرمزي لمكانة العقل ودوره في إضفاء الخلافة على الإنسان وحده على وجه الأرض، فانتصابه على قمة الهرم الجسدي للإنسان يرمز ،من جهة، إلى سمو مكانته في تسيير شؤون الإنسان في حياته هنا على الأرض. ويرمز، من جهة أخرى، إلى أن مخبأه (الجمجمة/المخ) هو **أقرب نقطة تماس** – وهو واقف منتصب القامة أو يمشي سويا – ينظر من خلالها الإنسان بمساعدة بَوْصلَة منظومة الرموز الثقافية في عقله إلى رحاب وألغاز العالم العلوي الفسيح والمتباعد.

أبجدية ترشح الفكر البشري للخلود:

يتحدث عامة الناس وخاصتهم حول قدرة المفكرين العظماء على تحدي رحيلهم الجسدي من هذا العالم والبقاء بينهم حاضرين أحياء بفكرهم. وهو،بلا ريب، حديث ذو مصداقية عالية في الصميم. ومع ذلك، فمقولة هذا الحديث تحتاج إلى أدلة وحجج تمدنا بفهم وتفسير موضوعيين حول أسباب تأهل الفكر البشري للبقاء طويلاً أو خالداً بعد اندثار جسد صاحبه، فالموضوع يطالب بكشف الحجاب عن وجه مصداقية مثل ذلك الحديث بحيث يُوضَع حد للغموض والالتباس اللذين يكادان يلازمان دائما مقولة الحديث في هذا الأمر، وهذا ما نود طرحه في هذه الدراسة بواسطة **منظور العلوم الاجتماعية**. نستعمل **إطاراً فكرياً جديداً** لرفع تحديات صعوبة الظفر بفهم وتفسير شفافين ومقنعين للأسباب التي تجعل كبار المفكرين لا يرحلون من الدنيا بسبب الموت المحتوم. نستعمل هنا مفهومنا/نظريتنا للرموز الثقافية لمحاولة بلوغ الهدف. ومن ثم، فمغامرة الفهم والتفسير لإشكالية الموضوع المطروح هنا تدفع بالطبع إلى الاجتهاد والبحث من أجل القرب على الأقل من الإلمام بأهم العوامل التي تؤهل الفكر للبقاء طويلا أو خالدا بعد رحيل أصحابه.

الفكر جزء من منظومة الرموز الثقافية :

قبل القيام بهذا التشخيص نحتاج إلى طرح معلمين **لمنهجيتنا المركبة** للقرب أو بلوغ كسب رهان ذلك التشخيص:

أ . نوجز ما توصلنا إليه من معطيات وملاحظات حول منظومة **الرموز الثقافية** التي لم تعد مجرد مفهوم كما كانت عندنا في عهد ميلادها الأول؛ بل أصبحت الآن منظوراً فكرياً مؤهلاً لكي يمثل **نظرية ثقافية عربية** تساعد على الفهم والتفسير للعديد من الظواهر عند أفراد الجنس البشري ومجتمعاتهم، ويقول تعريف النظرية نفسه.

ب . تطرح منظومتنا للرموز الثقافية سؤالاً مركزياً: هل الإنسان كائن ثقافي بالطبع؟ وتعني كلمة ثقافي عندنا هنا وجود العناصر المذكورة سابقاً التي يتميز بها أفراد الجنس البشري: اللغة المنطوقة والمكتوبة **والفكر** والدين والمعرفة/العلم والأساطير والقوانين والقيم والأعراف الثقافية، فالفكر هو، إذن، جزء من منظومة الرموز الثقافية. ففهم طبيعة هذه الأخيرة يساعدنا على معرفة طبيعة الفكر الإنساني، ومن ثم سبب تأهله للبقاء طويلاً أو حتى للخلود. واعتماداً على هذا، فإن المعلمين أ . و ب . هما مربط الفرس هنا، أي أن محاولتنا للظفر بمعرفة ذات مصداقية حول أسباب بقاء الفكر بعد أصحابه تعتمد في الصميم على فهمنا ووصفنا الخاص لمنظومة الرموز الثقافية. وبعبارة أخرى، فمنظومة الرموز الثقافية هي بيت القصيد للإمساك بمفاتيح حل ألغاز بقاء/خلود الفكر البشري بوصفها ظاهرة إنسانية لا تكاد تثيرها وتتطرق لها، مثلاً، العلوم الاجتماعية المعاصرة.

أطروحة الإنسان كائن ثقافي بالطبع

إذا كانت الرموز الثقافية تمثل جوهر الإنسان، فهل يمكن

تأسيس إطار فكري/نظرية حول فرضية هذه الطبيعة الثقافية للإنسان؟ إن الإجابة الشافية على ذلك قد تحتاج إلى آلاف الكلمات في مقالة أو دراسة أو كتاب أو حتى إلى عديد المجلدات، ويمكن للمرء أن يتبنى ، مثلاً ، منظور الفلسفة أو العلوم الاجتماعية أو هما معا لكي يكتب أطروحة متماسكة في هذا الموضوع، فنحن نعرف كم سال حبر أقلام الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين على الخصوص من كل الحضارات وفي كل العصور حول مقولة مشابهة تتمثل في: أن **الإنسان مدني/اجتماعي بالطبع**.ومن جهتنا، نعتقد أنه ليس من الضروري الإطناب في النقاش والجدال في جوهر الحجج المؤكدة على **الطبيعة الثقافية** للكائن البشري.فالمسألة يمكن حسمها في سطور قليلة، وخير الكلام ما قل ودّل. وهذا ما نرغب في القيام به باقتصاد شديد في الحروف والكلمات ، من ناحية ، وبساطة في التعبير وربما في الإقناع في **قضية تبدو معقدة**، من ناحية أخرى. ونعتمد هنا على منهجية الجمع بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية... فلا يجوز علميا تحليل جوهر الإنسان وعمق كينونته دون الحديث عن العوامل البيولوجية والفيزيولجية / الجسمية عند الإنسان،كما لا تقبل محاولة فهمه بالكامل إذا همش أو ترك جانبا **أهم ما يميز الجنس البشري** بطريقة فاصلة وحاسمة ، وهي **منظومة الرموز الثقافية**. وحسب علمنا، ففرضية الطبيعة الثقافية للإنسان فرضية جديدة لا تكاد تطرحها وتنادي بها أي من المدارس الفكرية في العلوم الاجتماعية المعاصرة مثل الماركسية والبنيوية والوظيفية والتحليل النفسي والسلوكية Behaviorism.

الرموز الثقافية كبيئة لنشأة الفكر:

إن تأكيدنا على مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان يساعد كثيراً على فهم وتفسير ظاهرة الفكر البشري وإمكانية استمراره وحتى خلوده الأمر الذي يعزز ترشح الرموز الثقافية لكي تكون **نظرية ثقافية** متماسكة، فالعناصر المكونة لمنظومة الرموز الثقافية(اللغة البشرية والفكر والدين والمعرفة/العلم والقيم والأعراف الثقافية...) **تؤهل الإنسان لإنشاء الفكر** بالطرق الآتية:

1. تأتي **اللغة البشرية** في الطليعة، لقد أكدت البحوث المعاصرة على العلاقة القوية السببية بين اللغة والفكر والتي تتلخص في القول: ينعدم التفكير والفكر دون اللغة. وهذا على المستوى النظري، وأما على المستوى العملي، فالإنسان يعبر عن فكره بواسطة استعماله للغة البشرية في شكليها الشفوي والمكتوب. فإنشاء الفكر والتعبير عنه في **لغة مكتوبة** يرشحه أكثر من نظيره الشفوي إلى الاستمرار والدوام وحتى إلى الخلود خلال العصور.

2. يمثل ميدان المعرفة والعلم، كعنصرين في تعريفنا لمنظومة الر موز الثقافية، عاملا هاما لنشأة الفكر الإنساني ونضجه.وهذا ما يشهد عليه العصر الحديث على الخصوص.

3 . أثبت الدين عبر كل الحضارات البشرية أنه عنصر فعال في إنشاء الفكر الإنساني، ففكر الحضارة العربية الإسلامية متأثر بقوة بثقافة الدين الإسلامي.

4 . أما عالم القيم والأعراف الثقافية، فقد أنتج فكراً واسعاً في علمي الأنثرويولوجيا والاجتماع على الخصوص.

5 . الفكر بكل أنواعه، كعنصر من منظومة الرموز الثقافية، يقود إلى **ظاهرة الفكر حول الفكر**. فعلى سبيل المثال، كم من كتب فكرية ألفت حول الفكر العمراني في مقدمة ابن خلدون منذ عصره ؟

وهكذا يتضح أن العناصر الرئيسية لمنظومة الرموز الثقافية تلعب دوراً بارزاً في إنشاء الفكر الإنساني بأصنافه المتعددة. فهي، إذن، **بيئة صالحة** ليست فقط لميلاد الفكر وإنما أيضا لنموه ونضجه واستمراره حيا لزمن قصير أو طويل قد يصل إلى كسب رهان الخلود عبر الزمان والمكان.

تجاوز طبيعة الفكر لمنطق الماديات

إن التحليل السابق لطبيعة منظومة الرموز الثقافية وكبيئة صالحة لإنشاء الفكر الإنساني يحتاج الآن إلى خطوة منهجية بحثية إضافية من أجل القرب من فهم وتفسير ظاهرة ترشح الفكر الإنساني للبقاء طويلاً أو حتى للخلود، وحتى نفتح السبيل منهجيا للقرب من الفهم والتفسير للموضوع نود **معرفيا**/إيبستيمولجيا التعرف على جوانب أخرى لا تكاد تشير إليها العلوم الاجتماعية الغربية المعاصرة في دراستها لمنظومة الثقافة/الرموز الثقافية.

فعند التعمق في جوهر طبيعة الرموز الثقافية تبين لنا أنها تتسم **بلمسات متعالية**transcendental تجعلها تختلف

عن صفات مكونات الجسم البشري وعالم المادة. ولشرح ذلك نقتصر على ذكر سمة رئيسية لمنظومة الرموز الثقافية تساعد على فهم وتفسير ترشح الفكر البشري للبقاء الطويل أو للخلود، تتمثل هذه السمة في **خلو الرموز الثقافية من الوزن والحجم** بالمعنى المادي للأشياء. فمن خلال رؤية معرفية، تتصف الرموز الثقافية بتلك السمة. فكل العناصر المادية لها وزن وحجم مهما كان صغر حجمها وتفاهة وزنها.وهذا ما لا نجده في عناصر منظومة الرموز الثقافية البشرية كاللغة البشرية والفكر والدين والأساطير والقيم والمعايير الثقافية... في المجتمعات والحضارات الإنسانية. ومن ثم، يمكن القول إن **الرموز الثقافية** هي ذلك **الجانب الروحي من الإنسان** كما تحدث عنه الفلاسفة والرسالات الدينية عبر العصور باعتبار أن طبيعة الروحانيات ليست من جنس طبيعة الماديات. فهذه الأخيرة لها، مثلا، وزن وحجم بينما الأولى/الرموز الثقافية ليس لها وزن وحجم بالمعنى المادي. نعتبر أن هذه **السمة غير المادية** لطبيعة الرموز الثقافية أمر مشروع جداً؛ لأنه يصف واقع الرموز الثقافية.

ومن منطلق تشخيصنا لازدواجية هوية الإنسان كجسد ورموز ثقافية (جانب مادي ذي وزن وحجم وجانب غير مادي/لا وزن ولا حجم له) تأتي مشروعية ضرورة إفساح المجال في البحث العلمي **لتجاوز المنطق المادي لفهم وتفسير الظواهر.** يصلح هذا المنظور للمساعدة على فهم وتفسير موضوع طول بقاء أو خلود الفكر البشري. فالمفكرون بشر أصحاب هوية مزدوجة، فالجسد هو الجانب المادي من الإنسان والرموز الثقافية هي الجانب غير المادي (لا وزن ولا حجم لها) من الإنسان. وباعتبار الفكر جزءاً صميماً في منظومة الرموز الثقافية كما أكدنا على ذلك، فإنه مرشح لكي **لا يخضع** للمنطق المادي الذي يتأثر به حتميا جسم الإنسان والمتمثل في الفناء والتلاشي بعد الموت المحتوم. **فالفكر** كعنصر رئيسي في الرموز الثقافية **مؤهل** بكل مشروعية **لكي يتجاوز عوائق المنطق المادي** ويبقى طويلاً أو يكسب حتى رهان الخلود بعد فناء أجساد المفكرين الذين لابد أن يرحلوا جسدياً.

علاقة اللغة بإنشاء الفكر وتخليده

وبالإضافة إلى طبيعة الفكر غير المادية المؤهلة له للبقاء طويلا أو حتى الخلود بعد رحيل أصحابه كما رأينا، فإنه يمكن اكتشاف ترشح الفكر الإنساني للبقاء وحتى للخلود بواسطة **عامل ثان** يتمثل في **اللغة البشرية** المنطوقة والمكتوبة كما وقعت الإشارة باختصار. ولكن الأمر يحتاج إلى تفاصيل أكثر حتى تتضح هذه **العلاقة المتينة بين اللغة البشرية والفكر.**

وهناك اتفاق بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الذين اهتموا أكثر من غيرهم بدراسة عالم الثقافة/الرموز الثقافية أن اللغة البشرية في شكليها المنطوق والمكتوب هي أهم تلك الرموز الثقافية جميعاً؛ لأنه دون حضورها لا يمكن أن توجد بقية الرموز الثقافية. ومن ثم، جاءت مقولتنا لتعتبر أن **اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعا.** أي أنها العمود الفقري بالنسبة إلى إنشاء ظاهرة عالم منظومة الرموز الثقافية بكل عناصرها ومن بينها الفكر. ويجوز تسمية هذا بالجانب العام أو غير المباشر للعلاقة بين اللغة والفكر. وأما الجانب الخاص أو المباشر، فيتمثل في أن **اللغة البشرية هي الوسيلة الأساسية** التي يعبر بها الإنسان عن فكره أو يكتبه بها. إذن، فالعلاقة بين الفكر واللغة البشرية هي حقيقة واضحة المعالم... واللغة البشرية لها قدرة كبيرة على **تخليد خاصة ما يكتب بها.** وبالتالي، يفسر هذا سبب مشروعية ترشح الفكر الإنساني لطول البقاء وحتى للخلود نظرا للعلاقة الوثيقة بين اللغة البشرية والفكر التي تؤكد عليها البحوث المعاصرة والحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فاللغات المكتوبة بالتحديد تمكّن المجموعات البشرية من تسجيل ذاكراتها الجماعية والمحافظة عليها إلى أجل غير مسمى يشبه طول بقاء وخلود الكائنات الميتافيزيقية/المتعالية. وينطبق هذا الأمر على تأهل الفكر البشري للاستمرار الطويل أو حتى للخلود عبر العصور والحضارات البشرية المختلفة، فمما لاشك فيه أن الشخصيات التي كُتب لفكرها البقاء الطويل أو الخلود على مر العصور أخذت القلم وعبرت عن فكرها في لغة أو لغات بشرية متعددة. ومن ثم، **فاستعمال اللغة البشرية هو شرط ضروري لإنشاء الفكر وكسبه رهان البقاء وإمكانية الخلود عبر الزمان والمكان.** فالعلاقة، إذن، بين اللغة والفكر علاقة عضوية وحميمة إلى أقصى درجة.

طبيعة الفكر تُرشحه للبقاء:

يتصف العمل الفكري **بالاستقلالية** عن صاحبه بمجرد ميلاده، بينما لا يتمتع العمل الجسدي بذلك. فمهارة محمد

علي كلاي في الملاكمة، مثلاً، لا يمكن أن تكون مستقلة عنه. فتجسدها وبقاؤها يتوقفان بالكامل على **وجود جسده** الذي جعله بطلاً للملاكمة في مدة محدودة من حياته. ويجوز تفسير هذا الفرق بطبيعة قطبي ازدواجية الإنسان المتمثلة في الجسد والرموز الثقافية. فاختلافهما على مستوى حضور أو غياب الاستقلالية المشار إليها يأتي من انتمائهما إلى قطبين مختلفين من هوية الإنسان. فالعمل الفكري ينتسب إلى الرموز الثقافية/القطب غير المادي والعمل الجسدي ينتمي إلى الجسد/القطب المادي. تسمح هذه الرؤية المبنية على عالم الرموز الثقافية بتفسير تمتع الفكر البشري ليس بكثير من **الا**ستقلالية فقط عن صاحبه وإنما أيضاً بقدرته على البقاء حيا حتى إن لم يدونه صاحبه في نص مكتوب. وإن الفكر اللغوي للعالم فردينان دي سوير Ferdinand De Saussure مثال على ذلك، فهو لم يقم بكتابة فكره المشهور في مؤلفه المعروف(درس في علم اللسانيات العام Cours de linguistique générale) بل تكفل طلبته بعد وفاته في 1913 بجمع فكر محاضراته اللسانية وأصدروها في كتاب أصبح مرجعا رئيسيا في اللغة واللسانيات. وهكذا يتجلى أن العوامل الثلاثة المذكورة: مساعدة اللغة البشرية على تخليد الفكر وانتماء الفكر إلى عالم الروحانيات وتأهل طبيعة الفكر للاستقلال عن صاحبه والبقاء بعده **تعمل** كلها لصالح بقاء الفكر طويلاً أو خالداً بعد رحيل صاحبه.

البعد الميتافيزيقي للفكر:

إن وجوب حضور اللغة البشرية بوصفها وسيلة لإنشاء الفكر عند الإنسان ليست الوظيفة الوحيدة التي تقدمها تلك اللغة لفكر المفكرين في كل الثقافات البشرية. بل للغة المكتوبة على الخصوص دور حاسم في تمكين الفكر من تجاوز فترة حياة مؤلفيه بعقود أو قرون أو حتى إلى أجل غير مسمى، يضفي هذا الدور على الفكر البشري **بعدا ميتافيزيقيا**؛ لأنه يمكّن الفكر من عدم الرحيل مع رحيل صاحبه جسديا. وإن ملامح اللمسات الميتافيزيقية في الأنساق اللغوية لا تحتاج إلى عناء كبير لإثباتها. فالمعطيات الميدانية تؤكد **قدرة اللغة البشرية** على تخليد الأفراد والجماعات ثقافياً عبر الزمان والمكان. فعلى المستوى الجماعي تمكّن اللغة المكتوبة على الخصوص المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية والمحافظة عليها وتخليدها، وذلك رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي ورغم إمكانية تغييرها للمكان وعيش أجيالها اللاحقة في عصور غير عصورها. فمحافظة لغة الضاد محافظة كاملة على النص القرآني خير مثال على **مقدرة اللغة المكتوبة التخليدية** بالنسبة لحماية الذاكرة الجماعية والتراث الثقافي لبني البشر من واقع الفناء المتأثر بعوامل الزمن والبيئة والوجود الجسمي المادي للمجموعات والمجتمعات والحضارات البشرية ذاتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للأفراد، فالكتّاب العباقرة في كل الحضارات الإنسانية وعبر العصور المتلاحقة ما كانوا ليستطيعوا تخليد أفكارهم ونظرياتهم بالكامل لولا توفر **اللغة البشرية** المكتوبة المتطورة على الخصوص في ثقافاتهم. فأفلاطون وأرسطو واخناتون والمعري وابن خلدون وابن رشد وروسو وماركس... ما كان لأفكارهم أن تصمد أمام مصائب الزمن لقرون طويلة وربما إلى أجل غير مسمى لو أنها لم تُحفَظ في لغات مكتوبة.

مشروعية خلود الفكر البشري:

على ضوء تحليلنا العقلي السابق لطبيعة الرموز الثقافية، يتجلى أن هذه الأخيرة تمثل مركزية هوية الإنسان. واتضح لنا برؤية ومنهجية العقل البرهاني أن الرموز الثقافية ليست بالعناصر المادية؛ لأنها فاقدة للوزن والحجم. ومن ثم، فهي تتسم بصفات متعالية/ ميتافيزيقية تؤهلها للبقاء طويلاً أو حتى للخلود. وهكذا، فالتشخيص العقلي، كما رأينا، يؤكد أن طبيعة الإنسان مزدوجة: جسد ورموز ثقافية/روح. فالجسد معرض لحتمية الفناء بينما منظومة الرموز الثقافية مرشحة بقوة للبقاء الطويل أو للخلود بسبب طبيعتها غير المادية/المتعالية. ومن هنا، تأتي مشروعية استعمال الناس من الخاصة والعامة كلمة **الخلود** لكي يصفوا بها فكر أو حكمة هذا الفيلسوف أو ذلك المفكر الكبير ورجل الدين والعالم الشهير الذين ظلت أفكارهم ونظرياتهم وحكمهم وقوانين اكتشافاتهم ترددها وتستعملها الأجيال المتعاقبة عبر العصور، فمسألة خلود الفكر الإنساني تثير بالطبع **سؤالاً معرفياً** لا ينبغي الهروب عنه ولا محاولة الإجابة عليه بكثير من **الغموض** الذي يضر في نهاية المطاف بعمليتي الفهم والتفسير ومن ثم بكسب رهان التقدم في ميادين المعرفة والعلم. نعتقد أن الإطار النظري لمفهوم الرموز

الثقافية (**الوليدة من اللغة البشرية**) يساعد كثيراً على وضع حد للغموض في الفهم والتفسير ومنه القدرة الكافية على التعرف عن أسباب طول بقاء أو خلود الأفكار والحكم والنظريات والمفاهيم والقوانين العلمية عبر الزمان والمكان، فلا غرابة. إذن، من منظور هذه المقاربة أن يكون الفكر البشري بكل أنواعه مؤهلا لمدى حياة طويلة أو للخلود النسبي في الأقل عبر العصور وعبر الثقافات والحضارات البشرية المتنوعة.

الرموز الثقافية وتأخر مشي الأطفال:

ننهي هذا البحث بالنظر إلى دور اللغة البشرية ومن ثم الرموز الثقافية في **تأخير** مشي الأطفال مقارنة بالقدرة على المشي المبكر لدى صغار الحيوانات؛ فالبعض من هذه الأخيرة يمشي عند الولادة والبعض الآخر يمشي بعد ساعات أو أيام **فقط**. وأما بالنسبة للأطفال، فتشير المعطيات إلى أن سنة من العمر هي **المعدل** الذي يستطيع فيه الطفل المشي وحده على الأقدام. والسؤال: إلى أي شيء تعود هذه الفروق في القدرة على المشي بين صغار الحيوانات والأطفال؟

يفيد التحليل لطبيعة الناس أن ما نسميه في هذا البحث الرموز الثقافية هي سمات خاصة بالجنس البشري وفي طليعتها **هبة اللغة المنطوقة والمكتوبة** التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات المعروفة لدى الإنسان، وكما فصّلنا القول في الصفحات السابقة، فهذا النوع من اللغة البشرية هو **أهم** ما يميز الجنس البشري عن سواه، ولذا سمى الفلاسفة القدماء الإنسان حيواناً ناطقاً؛ ولكنه في الواقع **ليس بالحيوان الناطق فحسب** وإنما هو أيضا **حيوان كاتب** ومستعمل كثيرا للرموز الثقافية، حسب رؤيتنا المطروحة. واللغة البشرية كأكبر ميزة بشرية هي المصدر الأول لميلاد منظومة الرموز الثقافية بوصفها ميزة أخرى للبشر.

هل من علاقة بين السمات التي ينفرد بها الإنسان؟

لمحاولة فهم وتفسير دور منظومة الرموز الثقافية في تأخير القدرة على المشي المبكر لدى الأطفال، نستعمل منهجية بسيطة تتكون من سؤالين مشروعين: أ . هل **التأخر في المشي** سمة ينفرد بها أطفال الجنس البشري فقط؟ ب . وهل هناك سمة أو سمات أخرى ينفرد بها أيضا هؤلاء الأطفال ومن ثم البشر بصفة عامة ؟

تجيب الملاحظة الميدانية على السؤال أ. بنعم.ويفيد التحليل لطبيعة الإنسان أن الرموز الثقافية هي سمات خاصة أيضا بالجنس البشري. ومن هنا، تأتي مشروعية الفرضية: هل من علاقة بين السمات الخاصة بالجنس البشري المتمثلة في التأخر في المشي لدى الأطفال وبين الحضور الكامن الفطري أصلا لمنظومة الرموز الثقافية في طبيعة الإنسان؟

ازدواجية النمو عند الأطفال وتأخر قدرتهم على المشي

يتطلب التحقق من مصداقية أو بطلان العلاقة بين الاثنين في هذه الفرضية دراسة الدور العام للرموز الثقافية في حياة وهوية بني البشر.وإن بطء النمو الجسدي البشري مقارنة بالحيوانات، مثلاً، ومن ثم تأخر القدرة على المشي المبكر عند الأطفال يمكن تفسيرهما بسبب أن **عملية النمو الكامل** عند الأطفال تتكون من **جبهتين:** 1. الجبهة الجسدية و2 . جبهة الرموز الثقافية. وفي المقابل، فإن النمو الجسمي الكامل لدى صغار الحيوانات يقتصر أساساً على الجانب الجسدي الأمر الذي يجعل عملية النمو الكلي لصغار الحيوانات عملية **سريعة** تمكّن هؤلاء الصغار من المشي المبكر جدا مقارنة بتأخر عملية المشي لدى الأطفال.ويرجع هذا الفرق في سرعة أو بطء المشي إلى **غياب** منظومة الرموز الثقافية عند عالم صغار الحيوانات، ومن ناحية، و**حضورها كاستعدادات ومهارات فطرية كامنة** لدى صغار الأطفال، من ناحية أخرى. يجوز القول إن نمو كل جبهة من الجبهتين عند الأطفال يعمل بطريقة ما على **تأخير** سرعة عملية النمو بالنسبة للجبهة الأخرى. وبعبارة أخرى، فبداية عملية نمو **بذور** الرموز الثقافية (اللغة البشرية ، مثلاً) التي يولد بها الأطفال تأخذ منهم جهداً وطاقة يؤخران نضج مقدرتهم العضلية على المشي المبكر.

قصور العلوم 'الصحيحة':

1. إهمال علميْ الحياة والتشريح العصريين ومن ثم علم الطب الحديث الأخذ بعين الاعتبار عناصر الرموز الثقافية في دراسة الإنسان لا يقتصر فقط على نموه الجسدي البطيء الأمر الذي جعل الأطفال غير قادرين على المشي المبكر كصغار الحيوانات، وإنما يتجلى ذلك الإهمال أيضاً في دراسة المختصين في تلك العلوم للمخ البشري نفسه.فهم يدرسونه كمجرد عضو بيولوجي

فيزيولوجي نورولوجي بينما تقر **العلوم الاجتماعية الحديثة** أن المخ البشري هو مركز عالم الرموز الثقافية لدى الإنسان. وفي مقابل موقف تلك العلوم المسماة بالصحيحة؛ فإن العلوم الاجتماعية وفي طليعتها علوم الأنثربولوجيا والاجتماع والنفس تعطي أهمية كبرى إلى دور الرموز الثقافية في التأثير على سلوكيات الناس كأفراد وعلى السلوكيات الجماعية وحركية المجتمعات والحضارات الإنسانية. ومن ثم، يجوز القول إن العلوم المسماة بالصحيحة هي في الواقع ليست كذلك بالمعنى الدقيق والموضوعي لكلمة صحيح. إذ هي تدرس الإنسان **وكأنه خال بالكامل من الرموز الثقافية** ذات المكانة المركزية في هوية الإنسان. وهكذا، يتضح أن الرؤية القاصرة للإنسان من طرف هذه العلوم تتضمن الكثير من الأخطار التي تعيق كسب رهان فهم كامل وموضوعي للظاهرة البشرية، ويدعو منظور العلوم الاجتماعية كما وقع شرحه في هذه الدراسة إلى **وضع حد للنظرة الدونية** التي تتعرض لها تلك العلوم في المجتمعات المتخلفة والنامية على الخصوص. فالأمر يتطلب إعادة النظر في قيمتها حتى تُمنح هذه العلوم الحضور المشروع والمصداقية العلمية المحترمة بين شعوب العالمين المتقدم والنامي. ومن هذا الواقع، تأتي مشروعية الحاجة الماسة لاستعمال منهجية معرفية/علمية تجمع بين رؤى العديد من العلوم والتخصصات Interdisciplinarity **كبديل ضروري وحكيم** ينبغي تبنيه من طرف العلوم الصحيحة والاجتماعية الحديثة من أجل الظفر بالفهم والتفسير الأفضل والأكثر مصداقية وعمقاً لما يسعى الباحثون والعلماء إلى دراسته.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

ابن خلدون، عبد الرحمان:(دون تاريخ) **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً**، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

الذوادي،محمود: نظرية الرموز البشرية... **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 39 والعدد1 ، 2011، ص 57 .89

مصطفى، نادية و عبد الفتاح، سيف الدين و جبريل ، أمجد أحمد (2006) **اللغة والهوية وحوار الحضارات** – برنامج حوار الحضارات– كلية الاقتصاد والعلوم السياسية– جامعة القاهرة.

وافي، علي عبد الواحد (1945) **فقه اللغة**، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

وافي، علي عبد الواحد (1951) **اللغة والمجتمع**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

Refrences:

Arabic Refrences:

Al-Thawadi, Mahmoud: The Theory of Human Symbols Journal of the Social Sciences, Vol. 39 and Issue 1, 2011, p 57-89.

Gabriel, Amjad Ahmed (2006) Language, Identity and Dialogue of Civilizations - Dialogue of Civilizations Program - Faculty of Economics and Political Science - Cairo University.

Ibn Khaldun, Abd Al-Rahman: (no history) Introducing Ibn Khaldun and his journey east and west, Beirut, Lebanese Book House.

Mustafa, Nadia and Abd Al-Fattah, Seif El-Din and

Wafi, Ali Abd Al-Wahid (1945) Philology, Cairo, Nahdet Misr Publishing House.

Wafi, Ali Abd Al-Wahid (1951) Language and Society, Cairo, House of Revival of Arabic Books.

المراجع الأجنبية

Pinker, S. (1995) *The Language Instinct: How the Mind Creates Language*, New York, Harper Perennial.

Snow, C.P(1963)The Two Cultures: And a Second Look, New York, Cambridge University Press

Sternberg, R. (2003) Wisdom, Intelligence, and Creativity Synthesized**,** Cambridge, UK, Cambridge University Press.

// // (1999) Handbook of Creativity, Cambridge, UK, Cambridge University Press.

Davidson, I. & Noble, W (1989) The Archaeology of Perception: Traces of Depiction and Language, *Current Anthropology*, 30 (2) 125-156.

Encyclopedia of Sociology (1973) Guilford, The Dushkin Publishing Group Inc.

Lepore,E., Smith, B (2008) *The Oxford Handbook of PHILOSOPHY OF LANGUAGE*, Oxford, Oxford University Press.

Language as the Most Distinctive Feature of Humanmankind from Social Science's Point of View

Mahmoud Al-Thawadi

ABSTRACT

The human mind is the distinctive character of humans. This article argues that this describes the apparent side of things and neglects the hidden most important distinctive trait of the humans. It is the source of the existence of the human mind itself. The author shows that language is prior to all distinctive features of the humankind, since it has set the ground for the emergence of the mind and its Cultural Symbols/CS (thought, knowledge/science, religion, cultural values and norms, myths, laws …) which distinguish humans from the rest. It can be said that the human identity is squarely a linguistic one. It can be stated in a Descartian formula: I use the human language, therefore, I am human. The potential for human thought to last for long or forever can be realized only if embraced especially by written languages. Consequently, human language is the fundamental basis for the birth of the human mind, its CS, its thought and the human mastership on this planet.

Keywords: Historical human language, man, mind, cultural symbols, human mastership

* University of Tunisia, Tunisia
Received on 22/5/2018 and Accepted for Publication on 5/9/2019.